
أمَل جَدَّاح
رسَائل امرَأة
دمشقيَّة الىٰ
فدائي فلسطيني
مدونة ابو عبدو

رسائل امرأة دمشقية
إلى فدائي فلسطيني

أمل جرّاح

رسائل امرأة دمشقيّة الى فدائي فلسطيني

دار العودة - بيروت

صمم الغلاف الفنانِ الفلسطيني : مصطفى الحلاج

أيها الرجال

ما أكثر كلامي
وما أكثر أفعالكم
ما أكثر قصائدي
وما أكثر بطولاتكم

سامحوني

الرسالة الأولى

كالوهم تنشر قلبك في الطرقات المبتلة .
بالبارود .
آه لو أستطيع الركض .
كنت حصدت من تحت قدميك الشوك والحصى .
كنت حفرت لك بأجفاني وأظافري خندقا .
كنت رميت جسدي متراساً تحت بندقيتك .
جعلت صدري متكأً لساعديك .
لكنني امرأة حزينة .
لي حياة كالشمعة المشتعلة .
سرعان ما تذوب .

●

إلى المرمى يا رجال .
أيها النسور الذين أجنحتهم من رصاص .
الذين أيديهم من عجين الفولاذ .
الذين قلوبهم مليئة بالحب والحنان .
ليس سواكم .
هذا الأمل المشع في العيون !.
ليس سواكم .
والأرض تزهر .
والأرض تصير خضراء .
تصير طرية .
تصير رجلاً يشتهى .
أنا امرأة حزينة .
لأنني أخاف الا أرى يوما .
أعلامكم ترفرف في المرافىء والقمم .
ذلك اليوم لا بد آت .
وكم هو عمري قصير .

●

أين أنا منك ، أيها المبقع الملابس .
عيناك كالموقد .
وأصابعك على عنقي كحنان الربيـع .
أتمناك بكل ما في المرأة من خوف .
وأود لو أكون واياك .
يمامتين على غصن وحيد
أو سمكتين في الأعماق .
أو عينين في وجه جميل كالأمل .
يا سيدي .
عرقك الموحي عطري الذي اتباهى به .
وكل ما ألمه من تراب الأرض العالق في ملابسك .
هو « ترابة » [1] الرأس والحنة .
يقولون لي مهمة بسيطة ويعود
يرفعون خيمة الرعب عن وجهي
يحاولون ...
إلا أن خوفي يقبـع بين نهدي ،

---

(١) الترابة ، هو نوع من التراب المعطر ، تذوبنه النساء القديمات في الماء . ثم يعطرن به شعرهن بعد كل اغتسال .

أستره كالطفل براحتي .
أخشى أن يراه أحد ،
فيصيبه بالعين .
وأتظاهر مثل بقية العاشقات .
انني أضحي بك في سبيل العودة .
لو أنهم يعلمون ، انني أحبك لي وحدي
وأغار عليك حتى من البندقية
ومن الأرض التي تزرع فيها الغامك
أريدك لي وحدي . تفتديني وأفتديك
وإذا مرة أحببتك أكثر .
اكتشفت كم أنا جاهلة وكم أنانية وكم وكم
واكتشفت كم آثرت نفسي على أرضك وأمانيك
أنا التي تقذف بنفسها من قمة إلى هاوية
إذا كنت أحقق أمانيك .
خذني معك ، مرة واحدة ، خذني معك .
خذني معك تحت معطفك لأسمع وجيب قلبك ،
وأنت تزحف .
لأرد عنك بلل الماء وأنت تقطع النهر الحزين .
لأمسح عن وجهك غبار الأرض بشفتي .

خذني معك ولو في الحلم ، ولو في الوهم .
دعني أراك وأنت تقفز ، وأنت ترتمي تحت المتراس ،
كنجوم السينما .
أتمنى لو يراك هؤلاء .
الذين قتلوا كل سكان الأرض في السينما .
وما زالوا هم المنتصرين .
يذهبون إلى الحرب ومعهم قناني الويسكي ،
والراقصات .
لأنهم لو رأوك ،
لاقتنعوا أن لك حقاً تدافع عنه ،
وتقاتل من أجله .
أن لك ارضاً سرقوها منك
لك بيت . لك أمان ، وأحلام صادروها .
فقذفوا بك بعيداً تحت الخيام .
وعزلوك عن قضيتك طوال هذا الماضي .
عذبوك
منعوك من السؤال
وحفنة أرز وكمشة طحين .

واصنع طعامك في الدخان .

●

ليسمع العالم أصواتنا
من كثرة ما حمتنا عشش العنكبوت على شفاهنا .
ليسمع أصواتنا هذه المرة
غير ما تعود أن يسمعها
ليسمعها من فوهة البندقية
والمدفع والرشاش .

●

أنت تعرف يا حبيبي
أن العربي لا يهرب ، فأنت عربي

. . . .

رموا الوزر على الجندي
جنودنا لم يقاتلوا
ولو أتاحوا لهم أن يقاتلوا مثلك
لما تأخروا .
ليسمع العالم أصواتنا

من غير أبواق ومكبرات صوت وشرفات .
ليسمعها هناك
في الأرض المحروقة ، في كل أرض وتحت كل سماء
وبعدها .
لتحترق المعاجم (والبوزات) البطولية
لتحترق الكلمات المنمقة ، وخدر الخطابات
لتموء القطط تحت سقوف الزعماء
هذه المرة ، صوتنا الجديد
هو المسموع وحده في كل العالم

●

يا وجهي الذي اعتني به صباحاً .
يا حبيبي .
مطار بيروت كله احترق .
وكلما ازددت غيظاً لهم ازدادوا جنوناً .
وكلما ازدادوا جنوناً ،
اقتربت من لحظة النصر
لنثبت إذن لكل الضربات . لنثبت في امكنتنا ،

لا تراجع .
وسوف ينهار اعداؤنا ، هم الذين سيتراجعون .
أنا مستغربة .
صرت أتحدث في السياسة . صرت أكتب شعرا .
كالخطابات .
أخاف على الشعر أن يصبح كالخطابات .
لكنك صرت فدائياً ، مقاوماً أخضر الملابس .
فما الذي أكتبه لك .
سوى الذي أسمعه من ذاتي .
من صديقاتي ورفيقاتي .
من أمي وأبي .
واخواتي .
أنتم وحدكم أحاديثنا .
نتلقف أخباركم أكثر من أخبار المدار
حول القمر .
نسترق السمع إلى خطواتكم .
أكثر من خطوات الراقصين في ملهى مترف .
وما أبشع أن يكون هناك راقصون

يفوق عددهم عدد المحاربين
في هذا الوطن الكبير

●

لي أمل وحيد .
وصلاتي إلى الرب أن تحققه أنت .
إذا ما غدر بي قلبي المتعب وأوقعني .
وتحقق حلمنا في العودة .
خذ رمادي وذره
على روابي الجليل ، وفي سهول يافا .
ازرع بعضه مع شجرة زيتون .
وانثرني في الحقول والأنهر .
وزّعني في الحدائق الصغيرة .
انشرني في البيادر .
وضم وصيتي إلى وصيتك إذا سقطت شهيداً .
ليأخذوا رفاتنا معاً .
ويزرعونا مع لغم قرب شجرة .
لنستشهد
في الارض التي أحببنا
ونحقق أمل اللقاء
الذي حرمناه في الحياة

الرسالة الثانية

عشرون سنة .
وقبلها الف ليلة وليلة .
بوركت أيدي الرجال
المولودة على أكف الاساطير .
بوركت قلوب الفداء
تغني يوم الثأر .
ولتغن المغنية العظيمة لمن تشاء .
وليسهر الساهرون
في ثيابهم السوداء والبيضاء
ليضحكوا ملء أشداقهم
وليخمروا ويثملوا .
في الجهة المقابلة
رجال آخرون .

نسوا كيف تشرق الشمس في الصباح
كيف تغرب في المساء
رجال نسوا الآه والموال والليالي
نسوا شكل قطعة النقود
نسوا النراجيل والخمور المعتقة
وعرق زحلة
لأنهم يتدثرون مياه النهر
بينما الآخرون يتدثرون نهود زوجاتهم
يزحفون على الشوك والألغام
بينما الآخرون يزحفون إلى المرابع والملاهي
يحطمون المستحيل
لتورق تحت أكفهم زهرات الأمل
يحطمون الفولاذ العصي
لتشرق من دمائهم النقية
شمس العودة .
عشرون سنة
فلتمت
الف ليلة وليلة فلتمت

لأن أصحاب القضية
حملوا مشعل القضية
واجتازوا الوهاد الممتلئة بالشوك .
وصارت لهم القوة على إيقاف الريح .
وفتحوا عبر رصاصهم ،
عالمنا المغلق
على النور والضياء.

●

صرت نسراً ، يا رجلي الوحيد
صرت حصاناً أصيلاً ، وكبرت
صرت الموت الحي يهز الحياة الميتة
صرت لي هذا الألق الشجاع
وبك أفاخر كل صاحباتي ،
أهلي وعشيرتي
ليشتعل لحمي على فخذيك
وبك أعود إلى رشدي
إخلع عليّ رداء حبك واحتويني .
خذني بين ذراعيك القويتين

واهتصرني .
وكحبة الزيتون
اعتصرني
وخذ زيتي ليضيء لك قنديل الليل
واعبر النهر الحزين
ودفئي يمنع عنك برد المياه . برد الصخور .
برد التراب الندي .
وانتظرك وحدي
على ألق السماء .
لأن قلبي يرعاك

●

أنا حزينة .
لأنني امرأة متعبة .
تكتب كلامها على الورق .
بينما أنت تكتب كلامك بالرصاص .
دون ثرثرة .
كل رصاصة
تعرف طريقها وسطورها ونقاطها .

وأمام هذا الكلام البكر
الذى يخط للأجيال أساطير لا تنتهي .
يعجز الشعر أن يجاريه
فاغفر لي
ثرثرتي البلهاء
واعطني
رصاصة فارغة
ثقبت صدر نازي قتل الأطفال

●

قلبي عليهم أطفال غزة
قلبي عليهم شيوخ الجليل
وأنا ملأى بالغضب
يكاد ينقضي عام آخر
والذئاب الخشبية تعوي في الجولان وسيناء
تأكل لحم الميتين في القدس ورام الله
يكاد يمر عام آخر
والخيام تتمزق تحت صدأ المحنة والعذاب
وانك

وحدك ، تلك النار يا حبيبي
القادمة على صهوات الريح
الساطع بالحضور في كل مكان
كالأرواح الهائمة الباحثة عن مستقر
كانت جبال الخيبة تمتلكنا .
ولكن
ها أنت تشق لنا بين الصخور طريق العودة
تضع يدك تحت ابطنا
حتى لا يوقع بنا السقوط .
ها أنت ،
تنتقم للذين سقطوا غيلة
في حزيران
الذين تلقوا السهام في ظهورهم
الذين فاجأتهم نار السماء الواطئة ،
كالاقبية المسدودة النوافذ .
ها أنت
تحطم أكذوبة الآلة
فيد الانسان تبقى أبداً أقوى من الآلة .

●

ثمه ما يكتب على حجرات التاريخ
لأن أطفال الخيام ينتظرون الفرح
وتحت وهج عينيك .
الملح ومیض المستقبل الفذ
انك تكتب مجد هذه الأمة
على مداخل المدن
وها هي أصوات الجريح تتواجد
تشق طريقها وسط اجتماعات الياقات البيضاء
تلتقي في الشوارع تحت المطر
وتعلن غير ما يعلن
في القاعات الدافئة
ليس أمامنا سوى القتال
وحده القتال ينقذنا من الموت
لأنه يمنحنا الحياة

●

الرسالة الثالثة

أولئك الأغراب ، ينشبون مخالبهم في عيني .
في صدري وفخذي .
وأنا وحيدة أبكي ولا من يمسح دموعي
وحيدة ألوب تحت الأغصان اليابسة
والريح الباردة .
ولا أحد يسحب مخلباً من عيني
وقعت الحرب في صدري وحدي
وقعت الحرب كالجنازة .
وفتحت القبور أشداقها .
عامان طويلان
والحرب تأكل أصابعي
واتساقط على أخبارها كورق الخريف
عامان طويلان

والرجال وحدهم يزحفون فوق الشوك
فوق الأرض والدماء
أما الزعماء . فما أكثر رحلاتهم
وما أكثر دورانهم
يثبتون كروية الأرض من جديد
وينامون في الغرف الاصطناعية الهواء
على الحرير والأفخاذ
عامان طويلان يا سادتي
عامان طويلان
وأنتم تأكلون شعوبكم بشهية الجياع
والعدو يأكل شعوبكم بشهية الجياع
لم يعد في أجسادنا إلا العظام
أيها السادة العظام

●

صحراء وجسور وربوة خضراء .
كم يزداد يأسي ضراوة ؟
لو أنك أيها البعيد تشتري لي بحيرة
قدماي من رمال واجنحتي من ورق

فاصنع لي مركبا
أبحر فيه معك بعيداً
نبحر في الليل . في النهار . ونعيش الأيام بلا هوية .
أكاد أموت من الشوق اليك
ذكرياتك تحرك بي الحياة
تطرد الرماد من عيني
تضيء عتمتي .
أين أنت ؟
أي شمس تشرق عليك . اي مكان يحتويك
يا رياشي
يا عيني ، عيني . يا عيني
يا جنوني وطفولتي
أين أنت ؟
أبحث عن رسالة منك في الراديو
وما أكثر رسائل الاذاعات
لا كلمة ، ولا تحية .
أين أنت .. ؟

●

قطة الجيران الحزينة تنوء
لم يفتح أحد لها الباب .
هم أيضاً حزانى
ملتفون بالسواد والأسى
بكل السواد والأسى
زياد غاب
لم يأت منه اليوم الا بقايا دامية

●

أتمنى لو استحيل إلى وردة بالغة الجمال .
تشمني ولا تمل أريجي
ابعث لي بكلمة
أنا وحيدة ، وخائفة
وانت بعيد . لست أدري أين ؟

●

يا قدس
يا قدس
يا قدس

●

أأخبرك عن الشوك الذي يملأ الوجوه
كلنا يابسون تحت الشمس
شرارة واحدة تحرقنا
أأخبرك عن حذائي الذي فقدته
وأنا أركض تحت الطيارة
جوهرتي على صدري والرعب يقصف ركبتي
خائفة . خائفه أيها البعيد

●

أيها الساطي عليّ في كل مكان
لماذا نكدس الرماد على أعيننا ؟
لماذا من العبث أن نركض نحو الصحراء ؛
نغسل بالدموع وجوهنا
لماذا ننهار تحت الجسر المكسور
ولا من ينتشلنا ؟
أإلى هذا الحد
نحن أغضبنا الرب
يا رب
أنت معنا

أم علينا .
إذا كان كل هذا الغضب منك
ليكن الطوفان غضبك علينا
وأتركهم على ظهر سفينة
اننا نتمرغ في الوحل
يكفينا هذا الذل . يكفينا هذا الذل

●

يربطني اليك عصب عنيد
وأصابعك الواهنة لا تنفك عن جبيني .
اشتاق أن اتلمظ الدماء فوق شفتيك
أن أعرف منك لماذا نعيش في الظل ؟
لماذا نعيش ؟
وأجدك في داخلي الروح والحياة
الدم الذي يتدفق في الشرايين
الحرب كانت واقعة
أما زالت الحرب واقعة
كنت الراية التي سأشدها فوق رأسي
وأنا

كظل الشمس الحزينة وهي تفارق نهارها .

●

هناك
يسألونني عن السماء المتفجرة ، عن العصافير
عن الأرض إن كانت خضراء
يا شجر الزيتون الذي هناك
يا عصافير رام الله والجليل
يا سماء يافا
رائحة الورد هنا مثل الدماء الميتة
والاسئلة البلهاء تتوالى
تعال خذني معك مرة واحدة
وخبئني في المكان الآخر
أنا وحيدة .

●

عدت
لا العيون ضاحكة
ولا السطور مكتوبة
ما أكثر

الذين يصفعون هذا الشعب
تمنيت أن أضيع إلى الأبد

●

قلبي يوشك أن يموت
لولاه .
لصرت عذبة لك كالبنفسجة
كبا هذا الوطن
سقط إلى الأرض بلا دروع
وها أنا أذبل كالشمعة
قبل أن أنطفىء
لو تضع راحتك علي
أتمنى لو تضع راحتك علي
أخاف أن يجف زيتي
ولا آراك
أخاف .

●

أخبارك الأخيرة
ترطب خاطري في الليل

لم تشرب كأس الهزيمة
ولن تكف عن بيع الدم والجراح
تكتب اسمك على نجوم المجد
وتعود كاللبوة مع الرفاق
فالموت صار عندكم أغنية
صار أسطورة الحياة
والآن :
مرة نهائية وإلى الأبد
النصر أو الموت
الآن
ضد العدو في كل مكان .
حتى النصر أو الموت .
الآن
لنعلن الحرب ببنادقنا العتيقة
بخناجرنا الصدئة
بأسناننا .
بأظافرنا .
لكن الإيمان الذي يحتوينا .

هو سلاحنا الأكبر
هو وثيقة نصرنا .
هو الذي يشرّع صدورنا لرصاصهم
دون أن نتوقف .
ننهمر عليهم كالشلال دون رجوع
ليسقط الصف الأول
دوسوا الرفاق بالأقدام
واستمروا
هيا يا رجال
ليسقط الصف الثاني
واستمروا
هيا يا أحبتي
ليسقط الصف الثالث
واستمروا .
هيا يا محبتي .
ليسقط الصف الرابع .
واستمروا .
دون توقف يا أساطير الرجال .
ليسقط الصف الخامس .

لتغص أقدامكم في دماء الشهداء .
واستمروا .
ليسقط الصف السادس والسابع والعاشر .
والألف .
واستمروا .
لا بد أن ينتهي رصاصهم .
لا بد أن تخبو نارهم .
لا بد أن تنسلخ أصابعهم فوق اسلحتهم .
سيسقطون اعياء .
لا بد أن يسقطوا أعياء .
آنذاك .
كلوا الأخضر واليابس .
إثأروا للأمهات اللواتي بلا أبناء .
للزوجات اللواتي بلا أزواج .
للاطفال الذين بلا آباء .
إثأروا للبطون التي بقرت .
وللاعناق التي بترت .
وللاعراض التي انتهكت .
هيا يا رجال .

لقد أصبحنا بكم أقوياء .
وها هي السماء تصفق لـكم .
تساندكم تصرخ لنصركم .
دون توقف يا رجال .
إياكم أن تغركم قاعات المفاوضات .
اياكم أن يغركم السفر في طيران الشرق الأوسط
أو اير فلوت أو بان اميركان .
إياكم أن تغركم الموائد العامرة ،
والمآدب التي تقام على شرفـكم .
لا تتخلوا عن ملابسكم المبقعة .
لا تتخلوا عن بنادقـكم ورصاصكم
فانتم وحدكم أملنا
وحدكم ضياء هذه الأمة
وحدكم كبرياؤنا وحريتنا .

•

أيها الزعماء في كل شرفات الوطن .
ما أطول خطاباتـكم
وما أقصر حروبكم

مناديلكم البيضاء
تلوحون بها للشعب
وللمودعين
وللأعداء

●

أين أنت الآن يا حبيبي
يكاد يمضي العمر ولم تعدك الحرب إليّ
يكاد يذهب العالم إلى القبر
ولم تعدك الحرب إليّ
صرت ساحرة
أرسم وجهك من دخان السجائر
صرت ساحرة
أبني لك في حضني وسادة وأداعب شعرك
متى تعود
متى ترحل المخالب الصفراء
عن الرمال والنهر والربوة الخضراء ؟
وتعود إليّ
مليئاً بالرجولة والعافية

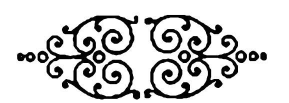
امنحني دقيقة واحدة

رأسي على صدرك ويدي في رمال يافا

وبعدها

لأمت

وليسكن بي كل شيء



مذكرات حرب حزيران

- ١ -

كانت البحيرة ملأى بالبط
ألقى الطفل الحجر ، فصارت البحيرة أجنحة بيضاء
أمواج الأمل المفقود تحترق تحت الصفصاف
الحديقة ملأى بالنساء والأطفال
والرجال لم يعودوا من الحرب

●

أنا يائسة
أسكن في حي قديم من أحياء المدينة
كل أهل البيوت عائلة واحدة
يستدينون من بعضهم الخبز في المساء
ويسهرون معاً عند من يملك تلفزيوناً.
وكل خميس
يقيمون حفلة غناء ترقص فيها الصغيرات
وقعت الحرب
اليوم لم يأت الذي تحبه نفسي
وقعت الحرب
أمس شيّعنا شاباً في الحي
اليوم لم يأت حبيبي
أنا يائسة
كل شيء يبكي
السماء نار . الأرض نار
وعيون الأطفال يجثم فيها رعب مجنون

●

- ٣ -

الحرب ما زالت واقعة
وأنت بعيد عن الأسرة البيضاء
شعري طويل يشتاق لأصابعك
أهدابي ساخنة
تشتاق لشفتيك
وأنا في زاوية الغرفة أحدق خائفة
ليس في أذني سوى الانفجارات
وأكاد أنفجر
من الشوق اليك

●

- ٤ -

في الحي
بكت النساء ، بكى الأطفال ، بكى الشيوخ
عاد الرجال ، بعض الرجال
رؤوسهم إلى الأرض وفي وجوههم خجل فاجع

عاد الرجال
يجرون بنادقهم خلفهم
ثيابهم ممزقة
وأحذيتهم بلا نعال
وكم فرحت ، وغنيت
لأن حبيبي
لم يعد مع هذا الرتل الطويل
ليعيش ذل الهزيمة إلى الأبد

•

- ٥ -

كل صباح
سأزور قبرك
سأضع لك قرنفلة
كم كنت تحب القرنفل يا حبيبي

أيها الرجال توحدوا تضافروا

تأتون وتذهبون كالحلم
ما أروعكم تفعلون المعجزات
ضرباتكم
هي صباحي المشرق وفرحتي
يوم أسمع شيئاً عظيماً عنكم
لا أتناول أدويتي الكثيرة
لأن قلبي الجذلان بكم
لن يحتاج على نور أخباركم إلى دواء
لكنني أيها الرجال
أحب أن أقول كلمتي
أعذروني أقول كلمتي
فأنا امرأة يأكلها الموت من أطرافها

ما أصدق الوصية على فراش النهاية
وما أصدق الكلمات الأخيرة
ذلك أيها الرجال العظام
تطفئون نور انتصاركم
بخلافاتكم الطفولية
تعودون من المعركة كباراً
وعلى طرف الجبل تتراشقون صغاراً
وكم أنا حزينة
ينجرف تمردكم في الجدل الذهولي .
أنا أعرف
البطل المقاتل يذهب
لا من أجل أعمدة الصحف والمنشورات
بل من أجل الأرض
ليحرر الوطن
لأنه هو ابن الأرض . ابن الوطن .
« فبرضاي عليكم »
يا رجال المنظمات ، كل المنظمات
تعالوا إلى الطاولة وتوحدوا
قبلوا بعضكم شوارب بعض وتضافروا

تعاهدوا معاً على تحرير الوطن المخطوف
دون البحث عن تفاهات المجد
الحصول على الوطن قبل كل شيء هو المجد
وأنتم يا وجه حبيبي
كلكم . إلى أية منظمة انتميتم .
بمجوعكم تحت أي لواء جماعة انضويتم
أنتم أملنا ، أنتم الذين يجتازون الرعب
والشوك والألغام وأكثركم لا يعود
والذي يستشهد
والذي تمتص الأرض الندية دمه الشريف
لا يهمه إلى أية منظمة ينتمي
لأنه عربي أصيل
ونبكيه لأنه واحد منا
من كل هذه الأمة المفجوعة
من كل هذا الشعب المؤود .
وما أتعسنا .
أن تعود بطولاتنا جاهلية
نبحث عن البيانات بدل الشعراء
كي تقول عنا
فعلنا وضربنا وقتلنا .

يا رجال ، لا أدري ما الذي أكتبه الآن ؛
لكنني مهزوزة ، صدقوني ، مهزوزة وحزينة
رغم فرحي بحريق حيفا .
الأبطال ، هكذا أعرف
لأنهم زهدوا بالدنيا أرادوا الموت من أجل الحياة .
الأبطال هم الحياة
ثم لا يهم المديح والصراخ والعويل
أحلل كل مـــا أقرأ عنكم في فكري
فأجدني أتفلسف وأكتب شعري سياسة
وما أبشع السياسة في الشعر .
ولكن
يا سادتي الكبار .
يحتشد صوتكم في حنجرتي . وأود لو أصرخ :
مزيداً من الضربات .
اخعلوا العدو من فراشه
كلوا اطمئنانه بأسنانكم
اضربوا هنا وهنا ،
ادخلوا عمقاً في الأرض أكثر .
ليكن هدفكم البحر

دائماً البحر
وتوغلوا .
ليقف شعر رؤوس أطفالهم
كما احترق أطفالنا بالنابالم
ليسقطوا في اتون الجحيم
كما سقط شيوخنا تحت ركام بيوتهم .
أنتم الثأر الذي نام اثنين وعشرين عاماً
أنتم الكرامة التي نكست رايتها ربع قرن مضى .
أنتم أبناء الشهداء والشهداء والشهداء .
أنجبوا أطفالاً وامضوا
حتى يكون جيل بناء الوطن المهدوم
أبناء شهداء
ويكفي .
لتكن ضرباتكم قاسية إلى آخر حدود القسوة .
ثم هو العدو يتحدث عنكم
يضطر يتحدث عنكم
بعد ذلك دعونا من المزايدات
يا سادتي دعونا من المزايدات
لتكن صورتكم أصفى وأنقى

من أن تقع في الأخذ والرد ونشر الغسيل
أنتم أيها الثوار ،
لكم كلكم هدف واحد
أن يعود هذا الشعب إلى أرضه
أن يعود هذا الأنين الدائم
وهذه الخيام الممزقة
وهذه الأجساد الهزيلة
إلى الوطن المسروق من عيون أطفالنا
إلى الأمنية . إلى الحلم
إلى القدس ويافا ، وبيت لحم
ثم لن يقول التاريخ
فتح والجبهة والآخرون
بل يقول الفلسطينيون

●

الآن وصيتي
وعلى أصابعي ترتجف الحياة
إذا كنت منتمياً إلى فتح
إذهب وانتم إلى الجبهة

وإذا كنت منتمياً إلى الجبهة
إذهب وانتمِ إلى فتح
وما أروع أن يكون الجميع هنا
قرروا أن ينتموا إلى هناك
والجميع هناك
ان ينتموا إلى هنا
وما أروع أن يلتقي الكل
في منتصف الطريق
ويأخذون بعضهم بأحضان بعض
ثم معاً يتجهون إلى أرض المعركة
حيث لا مفر من النصر
لا مفر من الشهادة
لأن الوطن يريد أن يعود اليه
كل الأطفال الذين ولدوا تحت الخيام

●

أنتم سيادتنا
وبكم نبقى أسياداً
الآن
بعدما تشربتم جو الوطن المقسوم والموزع
كم أخاف عليكم
وكم
صارت الهواجس تستعبدني
وكم
صار اليأس يحتلني
يا رجال ،
بحق الدم الذي هدر
وبحق الذين استشهدوا
ليشقوا لكم الطريق
تضافروا
تضامنوا
ضعوا أيديكم في أيدي بعض
وكونوا كالبنيان المرصوص
كجدار الفولاذ

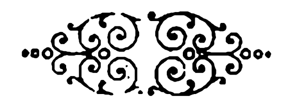
لا تقتلوا الحلم الذي نعيشه

لا توقظونا على مرارة المنازعات والمزايدات

لا تخيبوا أمل هذه الأمة

فالفرح العظيم يكاد يولد على أيديكم الفولاذ

أيديكم الألغام والرصاص



أحبك النور يملأ الوطن

كلما مررت أمام وجهك ،
أغسل قلبي بالبراءة
فأنت دم الليل ،
وأنت ضوء الضحى وهتاف العيون ..
ولعينيك وحدهما أحكي أشواقي
أحبك لاختبىء تحت راحتك
تعال ، خذني من هذا الشاطىء المهجور
وأغرس في عيني حب الحياة
لماذا تجهل مكانتك لدي
أحبك ، وحق هذا القلب المتعب
وحق ما تبقى لي من عمر

أحبك حباً ليست له مسافة ولا حدود
وأتمناك أمنية سجين لحريته
ولاجىء لأرضه
وجندي محارب للسلام

●

وددت لو أكون لك هذه البندقية
هذا الرصاص
هذه القنبلة ، لتشدد عليّ بكل قوة قبضتك
لتعتني بي ،
قريبة منك أبداً
على صدرك ، بين يديك ، على كتفيك
وهي حمايتك
وهي أيضاً هذا النصر الذي نبحث عنه
ولكن وا أسفي
أنا بندقية عاطلة
قلبها ليس قادراً على الصمود
خذني إذن متراساً
خذني صخرة من لحم ودم

قدني أمامك لأحميك بصدري
بكلتا يدي
ومعركة واحدة
يكفي أن أكون متراسك ، معركة واحدة
وليتفجر الدم مني وأنت تطلق
وأسلم
ثم اتركني فوق التراب الذي أرويه
لأنبت فيما بعد وردة حمراء
أفتديك يا حبيبي
هكذا أفتديك

•

نصرك فرحي وباقة وردي
سلني يوماً لماذا أحبك هذا الحب
لأنني أريد أن أقول لك :
أحبك هذا الرجل الملثم
ببقع الدم الحمراء
لأنك هذا المحارب الذي يداه
فولاذ البنادق

وحنين العاشق
لأنك هذا الفارس الممتطي صهوة الريح
لأنك قدري وأغنيتي ولوحتي التي بالدم أرسمها
أخبارك
ما ألذ أخبارك
صرت رعباً لهم . صرت خوفهم
وصار أملنا بالعودة كبيراً
نقترب منه ،
كما يقترب الطفل إلى أم اشتاق لها

●

النور يملأ هذا الوطن
ما أروع نوركم أيها الرجال
يبزغ من عيونكم الوقادة
يبزغ من رصاصكم وقنابلكم
يحيطنا بهالة الكرامة
يا من حولتم التاريخ بمعركة الكرامة
وكم نتباهى بكم
الآن
صارت لنا عين أن نتبادل النظرات

طردنا الخجل الذي احتلنا اثنين وعشرين عاماً

طردنا الخوف والذل

لقد أمسكنا الخيط الأول في معركة العودة

فلنتماسك أكثر

لقد قربت ساعة الخلاص أيها الرجال

قربت ساعة الخلاص



صبية تحت أقدام الفاتحين

اعرف ، انني يوماً ما ، سارحل
كنت اعرف ان لا بد يوما ،أن أذهب رحلتي الأبدية
ودائماً أحاول أن لا أفكر بصورة الرحيل .
وكيف تكون .
وأخاف أن تفلت هذه الحياة الثرية من بين يدي .
تحت ريح قاسية أو وراء موج عاصف .
وأحياناً
عندما تمسك بيدي وتأخذني
حيث تهمس لي كلماتك
أشعر بأسى فاجع
لأنني يوماً ما سوف أفقد هذه المنيهات

من أجل هذا
يحق أن أحزن
ويحق أن أتمسك بك بكل هذه الوحشية .
فأنت حبيبي
وأيامي قليلة كمطر الصيف
ويخافها الزمن
لانها لحظات خاطفة سوف تموت على أنين الغروب

●

في القريب المقبل ربما غداً .
تعال نعبر الحدود ونهبط كنجمتين ،
على اعتاب الحرية .
ونحيا معا
هذا التألق الدائم في عيون الهاربين
وعندما نطل على البحر
نشهد الشمس تغرق
فتأخذنا احلامنا إلى الافق
دون ان يصادر أحد أمانينا .
أو أن نسقط

في الاقبية المعتمة
تحت أيدي الجلادين
نحن عاصفة من تراب الوطن
نهب على الغرباء
يسكون بنا البيوت الاثرية
والاحياء القديمة
يسكون بنا الليالي والموال
والسروال والشاربين والخنجر على الخاصرة
صور حبيبة
ماتت تحت اقدام الفاتحين
لكنها خلقت وطناً
وشعباً استيقظ بعد طول رقود

*

لا شيء .
لم يبق غير الموج والذكريات
عيناك على جرح قلبي
كطيرين خائفين من صقر .
عيناك على حياتي الناقصة .

كهمستيْ حب أخرس
كنبعيْ حنان
هما أوهامي تنقلني اليك كالفراشات تهرب إلى أعشاشها
هما أحلامي تأخذني اليك كالعشاق الصغار
وتنام على فخذك
تحت راحتك الكبيرة
مثل خيمة في صحراء
لا شيء .
هكذا صدري
يضم بين ضلوعي هذا المتعب الواهن
وأود لو
أركض اليك وأركض
حتى لا تسبقني اللحظات التاعسة
فلا تستقبل بين ذراعيك
إلا الروح الهاربة
والجسد المحطم
الذي يرتجف كعصفور مبلل
رمته بندقية صياد

●

وما الذي حدث
كيف يرسم القدر حكاياتنا .
وكيف تتألق شمعة في القلب .
تذوب في القلب ، تصبح من دم القلب
فلا أرى إلا وجهك
ولا ألمس إلا أناملك
ولا استمع إلا إلى صوتك .
ما الذي حدث في الماضي ليصبح أبد الأبد ؟
ليصبح الهواء والمطر والحياة ؟
ما الذي تألق في أعماقي
لحظة رأيتك المرة الأولى
فصار وجهك كل أعماقي
وصارت الدنيا لدي كلماتك النادرة
الربيع . ورحلة الصيف والشتاء .
ثلج الجبال . وعصافير الغابات والبنفسجة الوحيدة .
ما الذي حدث ؟
ما هو السر ؟ أين السر ؟
في شعرك . في وجهك ، في عينيك . في شفتيك .
في أصابعك المتحركة كالريح ، كالنسمة ،
كوجوه الأطفال .

ما الذي حدث
ها أنا أرى وجهك وحده هو خفقة القلب .
فلا تغيّب وجهك عني
لعل الأيام تكثر
قبل لحظات الرحيل

●

تعال نخلع على أجسادنا قمصان السفر .
أنا وأنت
شمعتان تحترقان من طرفيهما
وبالشمع يختمون حناجرنا
ولأن صبرنا هذه الشجرة المتساقطة الأوراق .
نبكي على الضفاف والأرصفة
نبكي في الصالات المعتمة .
ونغمر وجوهنا بدخان السجاير الرخيصة .
ويورق شوك البؤس على أصابعنا
تعال
لنذهب بعيداً بعيداً
فتغمرنا شمس لا تتسلل اشعتها

نحيا كطيرين اليفين .
ونغني بملء حناجرنا
وهناك .
سنحتاج إلى زمن طويل كي نستعيد عفويتنا .
كي نعتاد الحوار
دون أن نتلفت الى اليمين واليسار
ودون ان يعقد الخوف السنتنا، اذا ما أحد حدق
في وجوهنا .
تعال .
نحمل خيمة وكمشة تراب من الوطن
ونذهب بعيداً بعيداً
حتى الافق هناك هناك هناك
تخاف علي ! أحسك تخاف علي ؟
ساجدة لك ابداً ووجهك احني عليه احشائي
تخاف علي
آه . لو كنت صحيحة ، لو كنت كاملة ، لو كنت
بلا ندوب وجراح ،
لو كنت سأعيش طويلاً
يحق لك ان تخاف علي

اما وأنا وهذا الموت
أما وهذا الفاتح أشداقه في نهاية الطريق .
فيناديني بذراعين من تراب
ليحتويني في قلب من تراب
ويغلق نوافذ الضياء
وتخاف علي ؟
لا ..
آه كم أخاف
خذني
ان أغمضت أجفاني على ذراعيك
ارمني في البحر
لتأكلني الأسماك الملونة
ولتحضن عظامي رمال الأعماق
حتى إذا أردت زيارتي
تقف على أي شاطيء وتلوح لي
فأراك
وأخرج اليك من الموج .
أقبل يديك المتعبتين وأعود

●

كلما أردت أكتب لك شعراً
تختلط علي الأشياء .
أحسك في أناملي وريشتي
فأصير أكتب عنك عوض أن أكتب اليك .
وأصير أشكو لنفسي ما بك عوض أن أشكوك مابي.
ومأساتك تصير مأساتي
فأكتب لك عن مأساتك
أكره ما تكره وأحب ما تحب وأتمنى ما تتمناه
فأي حب الذي أحياه
تسيطر عليّ كالإيمان
تسيطر علي كالاله
تسيطر علي كالشيطان
فأراك في كل آثامي وشروري
وأراك في كل صلواتي وابتهالي
وأتوجه اليك بفرحي وحزني
أعطيك كل ما في هذا الجسد من حنان وأنوثة .
وأرتمي في أحضانك
كالهاربة من النار إلى الينابيع .

والهاربة من الظلمة إلى النور
والهاربة من النازيين الجدد إلى الحرية
أصل اليك
فأتنفس الصعداء
أنام على صدرك نوم الاطمئنان .
وتحتويني بين ذراعيك
فأمتلك العالم
وأنقذ كل الهاربين والمتعبين
هل لي أن أقول لك كلماتي الأخيرة ؟
وحدك وحدك
لا سواك .

الوطن المخطوف من اعشاشه

الحجر في مدينتي ينطق
له ابتسامة حسناء
ابتسامة مدينة عالية كابراج الكنائس

حملني قلبي المتعب الى مدن ليست لها حدود
لكن شمعة مدينتنا ظلت تتألق على رؤوس اصابعي كالفرح

بوركت مياه النهر التي تروي ظمأنا
بوركت رائحة الجبال والغابات
بوركت مدينة المطر .
حيث كل فارس جبان يحرب ان يصفعها
ينقر قلبها بسكينه المسمومة
بها نهنأ برغم كل الغياب
وإلى حنانها نمد احلامنا على الحجار التاريخية

*

أنت مخطوف الى الضياع وبعيد
يرتسم الوطن في عينيك
مثل المنارات امام المراكب التائهة
سمعتك تهتف : احملي لي كمشة من تراب الوطن
لو كنت تدري ان تراب الوطن على شفتي
على اجفاني . على جرح قلبي .
لو كنت تدري ان الوطن قلبي لو كان قلبي غير معتل
لو كنت تدري ان الوطن دمي لو كان دمي لا يؤذيني
لو كنت تدري ان الوطن اعصابي لو لم تكن اعصابي
منهارة حتى العياء
الحق اقول لك .
ترتيلتي وصـــلاتي ودوائي والهواء الذي وصفوه لي
استنشقه بملء رئتي .
ليس للمدن معنى ، لأنك تحس فيها غربتك وضياعك
كل من جاء مدينتنا احبها ولم يشعر انه غريب
حسبنا ان نحيا بسمتها العريضة ، مدينـــة الحب
ومغنى الشعراء
مدينة الايام والشهور والاعوام

مدهشة هذه المدينة. مدهشة لانها جزر الريح والربيع
وفي قلب العالم زهرة يشمها غير ابنائها أكثر من ابنائها
وأنت بعيد
تأكل خطواتك المدينة الصاخبة. يجتاحك موج البحر.
وأنت ترتل على شفتيك قصائدك عن الوطن المخطوف
من اعشاشه .

*

الجبل وما اوحى
الحقول وما الهمت
النهر وما منح
الازقة القديمة وما اعطت
اغنيات العصور العتيقة
وكل القصائد الرائعة التي قيلت
اصحابها بعيدون . غرباء .
يقتاتون الضياع . الضياع . الضياع
انت واحد منهم
وما زال املك ان ترى قصائدك في عيون بنات الوطن
يكبر ويكبر ..

منذ عشرين سنة يكبر ويكبر
يا ويح قلبي .. أين أنت ؟

*

تعال . أود أن أدلك على وجوه أطفال لم يولدوا بعد
وأود أن اطل وإياك فوق سطوحها الحزينة
لكم كانت سماؤها تتميز بالطيور . أين الطيور ؟
سافر الصحو بعيداً عنهـــا . وصارت النجوم تهبط
وحيدة من عليائها .
قلت لي ونحن نرمق البحر :
أنا رحالة حزين
لأنني منذ زمن طويل لم أصل إلى مرفأي .
وحدثنا صاحب الشعر وألف ألف قصيدة
عن الانسان الذي يزيف .
ولا يكتب الصدق
كان يعلم ان كلماتك من دمع عينيك
وان حنينك من دم أعصابك
وان شوقك تكتبه من خلف أبواب الغربة
ومن تحت ظل الرموش القادمة من هناك .

كيف احدثك عني ؟
تركت هناك الذي تحبه نفسي ، علني أعـــود اليه بأمل الرحيل .
لأن الظل صار يؤرق .
والرعب صار يدق الباب
كيف أحدثك عني ؟
وكل الذين أحببناهم رحلوا
إلى الرمال المحرقة
إلى المرافىء البعيدة
تحت صنوبر لبنان يحملون الصخر على أكتافهم مثـــل الأسطورة .
كيف احدثك عني ؟
واللقمة يصارع من أجلها الذي تحبه نفسي
الف الف جان وعفريت .
ويود لو ، يحملني تحت سقف من النخيل
ونافذة ممدودة إلى الأفق
وبيت بلا باب
لا يوصد ولا يخاف أن يطرقه عابر في الليل

لا أعرفك
لكنه حدثني عنك الذي احبه
اقرأني قصائدك الذي احبه
حتى حفظتها وتمنيت وأنا ألقاك
أن أسألك كيف شققت دربك إلى غربتك لنحذو
حذوك
كي نتشارك معاً روعة الغربة وحنين العودة .
الذي خارج المأساة
ليس كالذي في قلبها
أين قرأت هذه الكلمات ؟
أين كتبت هذه الكلمات ؟

*

كل الذين رحلوا ، رأيتهم في زوارق بلا شراع
يجوبون البحار ، تحت الريح والموج والنجوم
عيونهم تائهة كهيا كل الأشباح
وانتظارهم ثقيل ثقيل
يرمون ظلالهم الباهتة على الأرض

وينتشرون في المقاهي والحانات
قلوبهم دامية وحزينة .
وبلا أمـل
يحلمون بالعيون الوديعة وبكأس شاي أمام شلال .
لو انهم يعلمون هؤلاء الذين رحلوا
أن الآلاف يحلمون بالرحيل البعيد

*

أرجوك ، اقرأ كلماتي
عدت إليه بوجه ليست فيه بشرى
لمح في عيني كل القواد الذين هزموا تحت شمس سيناء
على ضفتي النهر وفي المرتفعات .
لم أقل له انا مشتاقة
لم يقل لي اهلا
اتفقنا أن يكون اللقاء : هيا احزم حقائب السفر
واصمت
وكان صمتي بالباب
حين فتح الباب

وكان صمتي في عيني
حين نظر في عيني
وكان صمتي على شفتي
حين لمس بأصابعه شفتي
فسقط كرجل فقد يديه وقدميه

*

نحن في بلاد يسكنها الغرباء
الوطن كله رحل اليك .
أما رأيته في الوجوه المارة بك
هنا وهناك
محاطة بالذهول والدهشة والهروب
شموعنا تحترق
تحت وهج الخوف تنطفيء
أسألكم كلكم
يا من مدوا الينا أيديهم
يا من مسحوا عن جبيننا عرق المذلة
أسألكم كلكم

أن تعيدوا النظر
أن تتداولوا وتتباحثوا
افعلوا شيئاً من أجل الكلمة التي تجمعنا .
فنحزم حقائبنا ونأتي اليكم
نتقاسم غربتنا .
حتى لا نفقد الحنين .

محمود درويش

صار اسمك أنشودة حزينة
وطويلاً حدثني عنك هذا الذي أحبه
فصرت واحداً منا
احد افراد العائلة
أناشيدك تختنق في صدري . قبل الغصة .
كنت تتوقع أن نصل اليك
الخامس من حزيران جعلنا أكثر بعداً عنك
والممثلون ما زالوا يظهرون في الشرفات
ربما لا تعرف أن في الوطن مسرحاً جديداً اسمه الشرفة
مسرحاً ليس له مثيل ،
من عل
يظهر فيه الرجال المتأنقون
يصرخون حتى تبح الحناجر

ويلوحون بأيديهم كما يفعل عبد الحليم حافظ
وفريد الأطرش وحسن المليجي
محمـــود
وعيت هذا المسرح منذ أعوام . وحبيبي قال انــه يعرفه منذ عشرين عاما .
هو قديم إذن في تاريخنا !
من أجل ذلك نحن بعيدون عنك كل هذا البعد .

*

أكاد أرى في قصائدك الأمل الوحيد
كما أراه في قصص البطولة التي يزرعها رفاق لك هم الفدائيون
أنت وهؤلاء
وحدكم ستشربون دموع الوطن
ستزرعونه في صدر التاريخ شمس محبة
ونهر عواطف لا يموت
« سمعت في المذياع
تحية المشردين للمشردين

قال الجميـــع : كلنا بخير
لا أحد حزين
فكيف حال والدي »[١]
المذياع كذاب يا محمود. دائماً يكذب بصوت جميل
لا تصدق المذياع
كلنا حزانى لأنك سجين
كلنا حزانى لأنك في فلسطين
وفلسطين في السجن الكبير
وكلما هتفت قصائدك بكيت . لأنك سجين
كأنك تحب أن تكون سجيناً في فلسطين
لا أن تكون حـــراً ومشرداً في الوطن الكبير ،
من المحيط إلى الخليج
اخوانك لهم وطن من الاذاعات والخيام
ولهم ساحات يطل عليها أبطال الشرفات
« أنا بخير
قد صرت في العشرين »

---

(١) تتضمن القصيدة بعض المقاطع من شعر محمود درويش وهي تلك الموضوع ضمن أقواس صغيرة .

آه .

عمرك ، عمر النكبة . أمن قبيل المصادفات أن تولد على سخونة الجرح

يا محمود

وتعمل في مطعم وتغسل الصحون

لكن قصائدك هي أناشيد الملايين

أيها « الكرسون » العظيم .

*

أحبك يا محمود ، احبك

لأنك وحدك الكلمة الصادقة

تقولها وأنت تحت المقصلة

تقولها وبنادقهم في صدرك

تقولها من كوة السجن

وربما هارباً من مكان إلى مكان

تقولها ليس من الشرفة الانيقة

ولا تحت رنين التصفيق ، ولا من خلف المذياع

تقولها من فلسطين المصلوبة مثل الرصاصة .

مثل المعركة ، مثل الهجوم المفاجىء . والمنتصر
والشجاع .
هكذا تنفذ إلى أعصاب الملايين .
تبعث الامل
فالذين ينقلون لنا قصائدك
هم يعاودون الكرة وينقلون قصائدك
وكل مرة يتكاثرون
اطمئن يا محمود
أخيراً سيعود ، سيعود اليك ، كل النازحين فدائيين.

*

أنا امرأة تحب الشعر
وتحب الاصالة
ولأنك شاعر وأصيل ، أحبك .
أحب فلسطين في قلمك . كما احبها في اللوحات
ورصاص الفدائيين
احب فلسطين لأنها وجه السيد
ومحجة السلام
لأنها قصيدتك الوحيدة .

*

محمـــود
اكتب شعراً . نريدك شعراً ابديا . شعراً خالداً .
نريد فلسطين قصيدة منك
كما نريدها أرضاً وزيتونا
نريدها أن تعود دون شرفات وممثلين وباقات منشاة
ونريدك معها صنواً لها .

*

أشتاق أن أراك . لو كنت رجلاً لأتيت اليك .
اشتاق ان اراك
لأقبّل يدك التي تكتب . ويدك التي تغسل الصحون.
ويدك التي تقدم القهوة إلى الزبون . ويدك التي تحلم أن
ترتفع بلا أصفاد وقيود .
اريد أن أُقبّل كلمات قصائدك كلمة كلمة
انها ترتسم في حدقتي دمعة اثر دمعة .
وتطل عليّ مثل الذين يرسمـــون قصائدهم بالبنادق
والوجوه المصبوغة بالهباب ، والمتفجرات والالغام .
ألست معي يا محمود
اننا لن نصل اليك
إلا بالاصابع التي على الزناد !.

ملحمة سرحان سرحان

أنا عاشقة .
احب شاباً صار له صوت في التاريخ
صارت يده كنيسة
صار وجهه إلها .
أحب شاباً لا يعرفني ،
لكن الكل يعرفونه .
في كل أنحاء الارض يعرفونه .
وبرصاصة واحدة اختصر كل أسانا .
روى للعالم آلام عشرين عاما .
وما زال .
ينطق الحكمة من غير أن يقولها ·
من غير فلسفة ولا مجلدات .
أنا عاشقة .

وأود لو أسجد بكل حنيني لهذا الحبيب ،
المرصود بين أربعة جدران
الملفوف بالاصفاد والاحقاد ،
المحاصر بالعيون الزرقات ،
التي تعكس رياح الاجهاض
أنا عاشقة
وهذا الذي أحبه
صار حلماً يُشتهى .
صار أُمنية
صار رجاء
سكن في صوتي ووجهي
بحت له بأسراري .
أمسكت بيده ووسدتها قلبي .
تخيلته حزيناً لأن قلبي لا يعطيني كل الحياة .
وارتجفت اهدابه على اهدابي .
وامسكنا ايدينا متشابكة وطرنا .
كالفرح المولود في شبابيك الربيع .
وكالجوع النائم على الارغفة الطازجة .

سرنا .
لا ندري الى اين سرنا .
كانت الحياة لنا كالجرح الملتئم .
وكالنجوم المولودة على الزنود السمراء .
وها أنا اعيش لغته
من منكم قال مثل لغته .
من منكم نطق مثل حكمته
من منكم صرخ مثله . وسمعه كل العالم .
من منكم انشد مثل نشيده .
وهو بعد زهر الربيع .
وهو بعد الارض البكر ،
وهو بعد تاريخنا الذي لم يولد .

*

احدثكم عنه ، هذا الذي احبه .
احدثكم عنه بالسر .
وهو لديكم ليل نهار .
وهو بينكم في كل آن .
وهو حاضر رغم غيابه .

في كل صفحاتنا .
في كل ندواتنا .
في كل وجوهنا .
احدثكم عنه هذا البعيد القريب .
يرمونه بالجنون .
لانهم لا يريدون ان يقف التاريخ .
على اعتابه .
يجعلونه المرض .
لان الصحو فيه ادانة لهم ،
لانه جرحهم بالرصاصة .
قال رأيه فيهم بجرأة الشهيد .
ما زال يقول رأيه فيهم .
بجرأة الشهيد .
احدثكم عنه .
هو فتى من بلادي
ولد مع اسانا الفاجع
نشأ مع ذلنا وانهيارنا .
ترعرع في الارض التي تكرهنا

واكتشف برؤيا النبي كم سيطول ذلنا ..
وكم انهيارنا سيطول ،
عرف بحدس البراءة :
« ان الحياة وقفة عز »
ولا أحد منذ عشرين عاماً
وقف وقفة عز .

هذا الذي أحبه
كيف اصفه لكم وأنا عاجزة .
أتصدقون ؟
حفظت كل أخباره
تطاولت عليه في أعمدة الصحف .
قصصت صوره وخبأتها بين دفاتري ،
تحت وسائدي .
جمعت أقواله .
وحفظتها كالكتب المقدسة .
أتصدقون ؟
ما قاله لم يقله شاعر .
لم يقله خطيب مفوه .

لم يقله فنان .
انه الصغير
الذي كبّر تاريخنا الصغير .
انه الفدائي .
الذي قال كلمته في لحظة .
كما لم تقلها كل خطابات زعمائنا
طول تاريخنا الفاجع
انه الرجل الذي لم يبلغ سن الرجال .
لكن كلمته كانت أروع ما قاله الرجال
أتصدقون ؟
انني عاشقة
وهذا حبيبي الذي تحبه كل الفتيات
واحب أن تحبه كل الفتيات

*

سيدي الحبيب يا سيدي .
أكتب لك من مدينة حزينة العينين .
مدينة الأنهر السبعة والأبواب السبعة
أكتب لك على رجفة قلبي
كلمات الحنين

سرحان
صارت القدس انشودة
لأنك ابنها .
وحدك ، دون كل الكنائس .
رسمت صورة المسيح
واليد الغليظة التي تدق في يديه المسامير .
وحدك ثأرت دون كل الثأرات .
لكل الذين سقطوا تحت احتراق النابالم .
لكل الذين دفنوا أحياء تحت التراب .
اكتب لك يا سيدي الحبيب
اكتب لك .
من غير أن يغار هذا الذي يحبني
هذا الذي أحبه
اكتب لك سعيدة
رغم كل ما ينتظرك من شقاء
فأنت وحدك
علّمت العالم كيف يذكر هذه الأمة المنسية
أنت وحدك .

أنت وحدك .
أخبرت كل الذين يجهلون مأساتنا
ما هي مأساتنا
أنت وحدك الذي مسح العار
رغم وجود كل السفراء والوزراء والمندوبين .
أنت وحدك الذي نجح .
وكل المجلدات التي كتبت .
كانت فشلاً وخزياً
وحدك يا سرحان
الذي روى بالنار
ما لم يرو بالخطابات والحقائب .
وحدك . والرفاق .
الآتون من جنة المستقبل
الطالعون من (الأيام الآتية)
القادمون فرسان الانقاذ

سرحان يا سيدي الحبيب .
كم كلامك جميل . وكم كلامك موحٍ وصادق .
بدّلتَ الظلام في أعينهم

وأعطيتهم ضحى .
صاروا في أعماقهم يدركون انك لست مجرماً .
وانك ثائر .
ربما لا يجرأون أن يجهروا
لكنهم في أعماقهم يدركون انك لست مجرماً .
وانك ثائر .
فلا كلماتك تائهة
ولا يأسك يائس .
كم صرت احبك أكثر .
كم صرت مولعة بك
لأنك جعلتني مزهوة ،
رفعت رأسي ،
هززتني ،
أنقذتني .
فردت أجنحتي ،
ملّكتني كل الغابات .
توّجتني
منحتني المستقبل

رميت في أحضاني
كل الهدايا الجميلة
وأرويتني بعد ظمأ
وأطعمتني بعد جوع .
فكيف لا أحبك .
أنت منقذي .
واحد من منقذينا
أنتم ، آه لو أستطيع أن أعشقكم جميعاً
آه لو أستطيع أن أصبح ملايين النساء .
فالنساء يعشقن الرجال
الرجال الحقيقيين
الرجال الجاعلين من الموت مهنة
ومن الشهادة وسيلة
الرجال الحاملين على أكتافهم كل الهزائم
بعزيمة المولعين بالنصر .
الرجال الراية
الرجال الصخور

*

سيدي يا سيدي
ربما أخذوك إلى غرفة الغاز
إلى الزنزانة الأبدية
لكنك خلقت من أصابعك دروبا
وأضأت لنا المشاعل .
ربما لن نعود نسمع بك
لكن صوتك سيظل فينا . في أعماقنا .
في اعماق اعماقنا .
صوت الولادة .
صوت البطولة .
صوت الفداء .
ربما اغلقوا عليك الملفات .
ربما عصفوا بك .
واحرقوك .
لكنك فتحت ملفات قضيتنا .
القيت عليها الاضواء .
منعتها من الاحتراق .
ولم تزل ارضك تنبت الابطال .

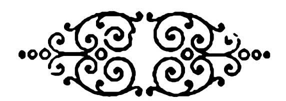
وانا النجمة الواقعة من السماء .
وانا الشمعة الذاوية .
وانا التي يدها على قلبها الهادم تهديها .
لو يأخذونني اليك .
اجلس بين يديك كالصلاة .
اقرأ لك قصائدي .
احكي لك حكايات .
لو يأخذونني بدلاً عنك الى الغاز .
كم اكره الاختناق في الغاز .
لكنني امام روعتك ضئيلة .
وما أغناك .
فعلت شيئاً عظيماً .
وحياتك غالية .
ولم أفعل شيئاً مشابهاً .
وحياتي رخيصة .
اكره القتل غدراً .
الا انهم يدفعون بنا إلى اليأس .
يرغموننا ان نسقط .

عسى سقوطنا .
لكننا .
سنرفع العار عن جباه شعبنا
ونعطي لاطفالنا المولودين تحت الخيام .
بعض الامل ،
وانا انتظر .
ان يعودوا الى احضان الوطن المفقود .
ان يعودوا الى المرافيء .
يتدثرون الرمال الدافئة دون خوف .
ويرمون خدودهم على حبة الزيتون .

*

آه لو اكون سحابة .
لكنت اخترقت قضبانك الحديدية .
ووسدتك صدري .
ورويت لك كم القدس حزينة .
لان رصاصتك .
لم تنقذها بعد .
ولانها ما زالت تأكلها اقدام التتار .

وتدوسها « جزمات » ورثة الرايخ .
ما زالت .
يسوع فيها سجين .
ما زالت .
تنتظر الخلاص القريب والبعيد .
وانا .
كم حزينة انا .
فلا القدس عادت .
ولا انت عدت الينا .
هي اسيرة الزنزانات والغاز .
وانت اسير الزنزانات والغاز .
وكم اخاف .
ان يطول انتظاري .



من منشورات دار العودة

		ق. ل.
حبيبتي تنهض من نومها	محمود درويش	١٥٠
آخر الليل	» »	٢٥٠
اوراق الزيتون	» »	٢٥٠
عصافير بلا اجنحة	» »	٢٥٠
رحلة السراديب الموحشة	سميح القاسم	٢٠٠
اغاني الدروب	» »	٢٠٠
دخان البراكين	» »	٢٠٠
دمي على كفي	» »	٢٥٠
طلب انتساب للحزب	» »	٢٠٠
شيوعيون	توفيق زياد	٢٠٠
ادفنوا امواتكم وانهضوا	» »	٢٠٠
اشد على ايديكم	» »	٢٠٠
مسافر ليل	صلاح عبد الصبور	٢٠٠
الاميرة تنتظر	» » »	٢٠٠
المجد للاطفال والزيتون	عبد الوهاب البياتي	١٥٠
اشعار في المنفى	» » »	٢٠٠
ملائكة وشياطين	» » »	٢٠٠

٢٠٠ ق. ل – ٣٠ ق. مصري – ٢٠ ق. سوداني